

المبحث الأول

عصبية الطفل

إنها مشكلة تواجه العديد من الآباء والأمهات. وحالات عصبية الطفل لا تعود إلى أسباب نفسية فقط، بل إن هناك عوامل جسمية تؤثر في عدم استقرار الطفل، ومهمة الوالدين هي محاولة فهم الأسباب الكامنة خلف هذه الأعراض العصبية، ومساعدة الطفل على التخلص منها بطريقة غير قهرية.

من الأطفال من يتصف بالعصبية في المزاج "NERVOUS" حيث تستعمل اللفظة الأجنبية لعدة معانٍ، فهي تعني "عصبي" أو ذا علاقة بالخلايا العصبية، أو مؤلفاً منها، وذا علاقة بالأعصاب أو ناشئاً فيها أو متأثراً بها. وتشير إلى من كان متقد الفكر أو الشعور أو الأسلوب، مثلما تدل على حدة المزاج وسرعة تأثيره وعدم استقراره، فيقبل للشخص "عصبي المزاج".

وتظهر على هؤلاء بعض الأعراض العصبية في صورة حركات لا شعورية تلقائية لا إرادية، مثل: قرص الأظافر (قضم الأظافر)، أو رمش العين، أو هز الكتف من وقت لآخر، أو تحريك الرأس جانباً، أو مص الأصابع، أو عض الأقلام، أو مداومة اللعب في الشعر، أو حك فروة الرأس. أو قد يكون بالاستغراق في أحلام اليقظة، أو قد يكون أحياناً بالبكاء. وفي أحيان أخرى تظهر أعراض التشنجات الهستيرية "غير صرعية"، أو غير ذلك من الحركات التي لا تقرها البيئة الاجتماعية، وبالتالي يحاول الوالدان منع الأطفال عن الإتيان بمثل هذه الحركات ولكن دون جدوى لأنها - وكما ذكرنا - حركات لا إرادية مرجعها التوتر النفسي الشديد، الذي يعاني منه الطفل، والذي يؤدي بدوره

إلى توتر في الجهاز العصبي؛ فيتخلص منه الطفل بتلك الحركات بطريقة قهرية لا شعورية.

وكل هذه الحالات العصبية ليست أسبابها نفسية فقط، بل إن هناك عوامل جسمية تُؤثر في عدم استقرار الطفل وعصبية، وهو ما سنتعرض له في الفقرات التالية.

عصبية الطفل ومفهوم الذات:

الأسرة تؤثر في شخصية الطفل تأثيراً كبيراً لأن الطفل يتفاعل مع مجتمع الأسرة أكثر من تفاعله مع أي مجتمع آخر، وخصوصاً في سنواته الأولى. والطفل يكون فكرته عن نفسه أي عن "ذاته" في بادئ الأمر من علاقته بالأسرة، فقد يرى نفسه محبوباً ومرغوباً فيه، منبؤداً أو مُحترماً. وبالتالي إما أن ينشأ راضياً عن نفسه، أو نافرماً منها ساخطاً عليها، فتسود حياته النفسية التوترات والصراعات التي تتميز بمشاعر الضيق والقلق والشعور بالذنب والإحساس بالنقص والاكْتئاب.

ولما أصبح "مفهوم الذات" هو حجر الزاوية في تكوين الشخصية، فسوف نعرض لمفهومها وتطورها بشيء من الإيجاز.

"الذات **SELF**": هي: الشعور والوعي بكيونة الفرد، وتتمو الذات وتَفَصِيلُ تدريجياً عن المجال الإدراكي، وتتكون كنتيجة للتفاعل مع البيئة، وتشمل الذات المدركة، والذات الاجتماعية، والذات المثالية. وقد تمتص قيم الآخرين وتسعى إلى التوافق والثبات، وهي تنمو نتيجة للنضج والتعلم.

و"مفهوم الذات **Self - Concept**": هو تكوين معرفي منظم وموحد ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات الخاصة بالذات، ويتكون "مفهوم الذات" من أفكار الفرد الذاتية لكيونته الداخلية والخارجية، والتي تنعكس إجرائياً في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو، وتسمى "الذات المدركة" (**PERCEIVED - SELF**)، وأيضاً المدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد أن الآخرين يتصورونها، والتي تتج من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، وتسمى "الذات الاجتماعية" (**SOCIAL - SELF**)،

كذلك المدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص، الذي يود أن يكون، وتسمى «الذات المثالية» (IDEAL- SELF).

ووظيفة الذات وظيفه دافعية تُبلور عالماً لخبرة المتغير الذي يوجد الفرد في وسطه.

تطور نمو "الذات" و"مفهوم الذات":

❖ يقول العالم "ويكس" (WICKES) إن طفل التسعة أشهر يفهم الإشارات

ويؤكد على أن هذه السن هي بداية الولادة السيكولوجية للطفل حينما يخرج

من رحم اللاشعور بالذات، إلى الشعور بذاته، يكتشفها ويدخل العالم الأكبر.

❖ وحينما يتم الطفل عاماً كاملاً يدخل في مرحلة الكشف والاستكشاف،

فتتمو صورة الذات ويزاد التفاعل مع الأم، ثم مع الآخرين، ويستعمل الكلمات،

ويكون ١٠٪ منها ضمائر، وهنا تبدو فرديته الداخلية، ثم تبدأ عملية الأخذ

والعطاء، وتبدأ الذات النامية في التفريق بين العالمين الداخلي والخارجي.

❖ وفي سن عامين يزداد تمييز الطفل لذاته، ويكون مُتَمَرِّكاً حول

ذاته وتتمو "أنا" "أنت"، "ملكي" و"ملكك"، وتتكون الذات الاجتماعية.

❖ وفي سن الثالثة يرسم الطفل صورةً أشمل للعالم المحيط به، ويزداد شعوره

بفرديته وشخصيته، ويزداد تمركزه حول ذاته، ويجتهد في بناء تلك الذات،

ونسلم منه دائماً "أنا"، و"ملكي"، وبعد ذلك نسلم منه "نحن"، ثم يدرك أن له

دوافع بعضها يتحقق، وبعضها لا يتحقق.

❖ وفي سن الرابعة يكون الطفل علاقات عقلية واجتماعية وانفعالية مع الآخرين

الذين يهتمون به، ونسلم منه أسئلة للاستكشاف والتوضيح منها: لماذا؟، وأين؟،

ومتى؟.

❖ وفي سن الخامسة يتقبل الطفل فرديته، ويزداد وعيه بالذات ويقبل اعتماده

الكامل على الوالدين ويزداد استقلاله ويتضح تفاعله الأكبر مع البيئة

الخارجية.

❖ وفي سن المرحلة الابتدائية (من سن ٦ إلى ١٢ عاماً) يلعب المعلم دوراً مهماً في نمو الذات لدى الطفل، وتتموُّ الذات من تصور الآخرين عن طريق عملية الامتصاص الاجتماعي. ويزداد شعور الطفل بقيمته، ويسعى لتعزيز صورته في أعين الآخرين، وتتموُّ الذات المثالية خلال عملية التَّوَحُّد، وتبنى أهداف الوالدين والمعلمين والأبطال والنوابغ... وهكذا نجد أن في هذه المرحلة يتَّسع الإطار المرجعي، الذي يتحدَّد في ضوءه مفهوم الذات الموجب والتَّوافق النفسي، أو مفهوم الذات السالب وعدم الرِّضا وسوء التَّوافق النفسي، الذي يؤدي إلى عصبية الأطفال.

الأسباب النفسية والجسمية لعصبية الأطفال:

يرى بعض علماء النفس أن أهم أسباب عصبية الأطفال وقلقهم النفسي ترجع إلى الشعور بالعجز والعداوة، وكذا الشعور بالعزلة، وكل هذه المشاعر السلبية ترجع إلى حرمان الأطفال من الدفء العاطفي، وعدم إشباع حاجاتهم إلى الشعور بالحب والحنان والانتماء والقبول، وإلى سيطرة الآباء في سطوة متجبرة.

ولعلنا كثيراً ما نرى أن الآباء يخطئون في حقِّ أبنائهم حينما يفرقون بين طفلٍ وآخر فهذا طيبٌ وهذا خبيث، أو ابنتنا فلان ذكي وابنتنا فلان غبي، كذلك التفريق في المعاملة بين الولد والبنت، وكذلك ترجع عصبية الأطفال إلى تناقض البيئة بما تتطوي عليه من الغش والخداع، فالآباء يعدون أطفالهم ثم لا يفون بوعودهم.

والجدير بالذكر أن العوامل والأمراض الجسمية قد تتسبب أيضاً في عدم استقرار الطفل وعصبيته، ومن هذه العوامل: اضطرابات الغدد كزيادة إفراز "الغدة الدرقيَّة" وكذلك سوء الهضم، والإصابة باللوز، والديدان، ومرض الصرع، لذلك يلزم علينا التأكُّد أولاً من خلو الطفل من الأمراض العضوية التي تؤثر على صحته العامة، فإن وجد سليماً من الناحية الجسمية تكون بالتالي أسباب العصبية نفسية يتحتم علاجها. وأحياناً تكون الأسباب مزدوجة: أي أسباب نفسية وجسمية.

تطور النمو الانفعالي للأطفال بالنسبة لظاهرة العصبية:

في فترة الرضاعة {من أسبوعين إلى عامين}:

يلاحظ أن الرضيع الذي ليس في حاجة إلى غذاء أو ماء أو نوم أو نظافة، فإنه يظهر عليه الهدوء والسعادة، أما إذا كان الحال عكس ذلك فالتوتر والغضب والعصبية وغير ذلك من أنماط سلوكية تكون متوقعة حتى لأتفه الأسباب. ويؤدي كذلك التوتر والاضطراب الانفعالي إلى عدم استقرار الرضيع، وإلى بعض اللزمات العصبية، مثل: مص الإبهام، أو كثرة التبول، أو كثرة الصراخ والتخريب أو الانسحاب.

في الطفولة المبكرة {من عامين إلى ستة أعوام}:

يزداد تمايز الاستجابات الانفعالية، وتزداد الاستجابات الانفعالية اللفظية لتحل تدريجياً محل الاستجابات الانفعالية الجسمية، وتتميز الانفعالات بأنها شديدة ومبالغ فيها (غضب شديد، كراهية شديدة)، وتتميز كذلك بالتنوع والانتقال من انفعال لآخر (من الانسحاب إلى الانقباض، ومن الهدوء إلى العصبية). وتظهر الانفعالات المركزة حول الذات، مثل: الخجل، والإحساس بالذنب، والشعور بالنقص، ولوم الذات، وكذلك مشاعر الثقة بالنفس، والاتجاهات المختلفة نحو الذات.

في الطفولة المتأخرة من تسعة أعوام إلى اثني عشر عاماً:

تقل مظاهر الثورة الخارجية، ويتعلم الطفل كيف يتنازل عن حاجاته العاجلة، التي قد تُغضب والديه، ويحاط الطفل ببعض مصادر القلق والصراع، ويستغرق في "أحلام اليقظة".

مظاهر العصبية تنتقل من الآباء إلى الأبناء:

لا شك أن الأب الذي يعاني من العصبية والتوتر، فإنه ينقل هذه المظاهر إلى أطفاله؛ لأن الطفل في حقيقة الأمر يلاحظ سلوك أبيه وينقل تصرفاته، وبذلك فإنه يتعلم أساليب جديدة للاستشارة الانفعالية.

والأم المتأثرة الحانقة تعلم أطفالها العصبية والتهور والرُعونة، بدلاً من أن تعلمهم مجابهة الحياة بتروٍ وهدوء دون انفعال وعصبية مبالغ فيها. والأم التسلطية تصبح مصدرًا محبطًا للطفل فيقاومها كلما تمكن من ذلك، بعكس الأم المرنة الهادئة التي يحبها الطفل ويثق فيها، وبالتالي يخضع لمشيئتها وينفذ مطالبها بكل اقتناع وهدوء. ومعنى هذا أن كل الانفعالات والأساليب السلوكية والعادات والاتجاهات سواء كانت مرضية أم صحية، سوية أم شاذة، تتمركز حول الآباء باعتبارهم مصادر السلطة. وحينما يكبر الطفل ينقل هذه الانفعالات والأساليب، ويبدأ في تعميمها؛ فالمعلمة تصبح البديل أو القرين لأمه، وكذا المعلم يصبح القرين أو البديل لأبيه. لذلك لا غرو إذا كانت التربية الحديثة تؤكد على تربية الآباء قبل الأبناء، وتربية المعلمين قبل تربية التلاميذ الصغار.

التدليل وفرط الحماية يؤثران سلباً في عصبية الأطفال:

إذا كانت القسوة تؤدي إلى عصبية الأطفال وتوترهم، فإن التدليل المبالغ فيه والافراط في الحماية يؤديان إلى عصبية الأطفال وانفعالاتهم المرضية وتوترهم الدائم، ذلك لأن التدليل ينمي في شعور الطفل صفة الأنانية، ويجعله دائم التمرکز حول ذاته، وكأن ذاته هذه هي محور الكون ومركز اهتمام البيئة؛ فيتعلم ضرورة إجابة طلباته دون تأجيل، ويثور ويتوتر إن لم تُجب رغباته لأنه يحس - بوجوده المريض - أن المجتمع كله يضطهده، والدليل في نظره أنه لم يحقق رغباته ومطامحه، دون أن يدري بالقطع أننا لا نستطيع تلبية جميع رغباتنا في آن واحد.

نماذج غير سوية من فرط الحماية والتدليل:

❖ الطفل وحيد والديه:

الطفل الوحيد يكون مركز الاهتمام وبؤرة التدليل والرعاية، وينال رعاية كبيرة ومركزة، تنحصر فيه آمال الأبوين، ويتوقعان منه إنجازات رائعة، لأنه كالأولاد، وبالتالي يقع الوالدان في خطأ الرعاية والحماية المفرطة له، ويدلّانهُ تدليلاً مبالغاً فيه، فوالده يشعران أنّهما لن ينجبا غيره؛ فيخافان عليه من كل شيء، وبالتالي يستجيبان لكل رغباته، طائعين لا يحاولان إطلاقاً رفض طلباته، ويسرعان إلى تهدئة خاطره واسترضائه؛ مما يؤثر تأثيراً سيئاً في نمو شخصيته؛ فيصير الطفل معتمداً عليهما في كل صغيرة وكبيرة، وبالتالي لا يستطيع أن يتحمل المسؤوليات المناسبة لسنه.

ومما يزيد الأمر سوءاً، هو منع الطفل من اللعب مع رفاق سنّه؛ خوفاً عليه من تعرّضه للحوادث والإصابات مثلاً، فيحاولان جاهدين استبقاءه في المنزل؛ حتى يكون في مأمن من الأخطار، والواقع أن هذا المسلك يجعله يجد صعوبات جمة في تفاعله وتوافقته الاجتماعي مع رفاق سنّه، ولذلك كرفليدرك أبواه أنه يجب أن يعوّض الطفل الوحيد عن إخواته بعدد مناسب من الأصدقاء والرفاق ممن هم في سنّه؛ حتى ينمو اجتماعياً النمو المناسب والمعقول من خلال تفاعله معهم، ومما يُفيد الطفل هنا إلحاقه مبكراً بدار حضانة جيدة ومناسبة، وكذلك شغل وقت فراغه بالهوايات الممتعة، مثل تربية طيور الزينة، مع معاملته معاملة طبيعية جداً.

❖ الطفل الأول:

الطفل الأول يمثل دائماً البداية الجديدة لأي أسرة شابة، فهو أول خبراتها في مجال الأبوة والأمومة. ولا شك أن النظرة الأولى للطفل يكون ملؤها الفرح والسعادة لمقدمه، بغض النظر عن أن صورته المتخيلة في ذهنهما لم تطابق الواقع.

ومع نمو الطفل الاول، فإنه يصبح محط أنظار والديه وبؤرة اهتمامهما ومطامحهما، يدفعانه إلى تحقيقها، وقد ينال الطفل الأول الكثير من الحماية الزائدة والتدليل المفرط، وهذا هو الخطأ الذي سبق وأن نبهنا إليه، من جهة أخرى يشعر الطفل الأول أنه مركز اهتمام الأسرة، وقد يشعر حين يأتي الطفل الثاني إذا لم يكن قد أعدَّ لذلك إعداداً خاصاً - أن كارثة قد حلت به، فتتمو لديه "عقدة قابيل".

❖ الطفل الأكبر:

الطفل الأكبر الموجود مع إخواته وأخواته الأصغر منه هو أيضاً الطفل الأول بالنسبة لوالديه، وهو يستقبل الكثير من عنايتهم وحبهم ورعايتهم أكثر من إخوته، وهو يلقي حماية زائدة واهتماماً بالغاً، وهو أقرب الأطفال إلى والديه من ناحية السن، والطفل الأكبر يتوقع منه أن يكون رائداً لإخوته وأخواته الأصغر منه، وهو يشعر بالزهو والفخر بالنسبة لهم لأنه كبيرهم ورائدهم، وقد يتسلط عليهم، إذا وجد الضوء الأخضر من والديه.

والطفل الأكبر يتمتع ببعض المزايا، فلا يوجد من هو أكبر منه من الإخوة يمارس معه السلطة والتسلط، وعادة يشير الوالدان إليه كنموذج لأطفالهما، امام الأهل والأصدقاء، وهنا يستلزم من الوالدين مراعاة شعور إخوته وأخواته الصغار.

وقد يفضله الوالدان بدرجة زائدة ويدللانه، ويرفعان مركزه وقدره باعتباره الطفل الأكبر، ومن المفروض ألا يحصل الطفل على أية مزايا لهذا السبب على حساب إخوته وأخواته .

❖ الطفل الأصغر:

الطفل الأصغر يمثل مكاناً خاصاً في قلب والده أو والدته لأنه الأصغر والأضعف، ومن مظاهر التدليل والحماية الزائدة هو تلبية رغباته بشكل مبالغ فيه على أنه "الصغير"، فيحصل على امتيازات ومميزات بهذه الحجّة، وقد يخطئ الصغار فينال الجميع عقاباً صارماً، ولكن هذا العقاب لا يطبق بنفس الحزم مع الطفل الأصغر وحجّة الوالدين في ذلك أنه لا يدري ولا يعي فقد قلّد إخوته وأخواته الأكبر منه!!

وقد لا تشتري ثياب جديدة للكبار في الأعياد، ولكن يشتري للطفل الأصغر لأنه "الأصغر والأضعف"!! والمطلوب من الوالدين في هذا الصدد التوازن التام في رعايتهما لأطفالهما الكبار منهم والصغار على حد سواء.

العلاقة بين الضعف العقلي وعصبية الأطفال:

الضعف العقلي ومستوى الذكاء المنخفض يكون غالباً مصحوباً بالتوتر والعصبية وعدم الاستقرار، وقد تصل العصبية إلى حل التحطيم والتخريب، وتزداد عصبية ضعاف العقول كلما حاولت البيئة (المنزل أو المدرسة) أن تمارس ضغوطاً عليهم، كأن يحسنوا أداءهم أو تحصيلهم، ويكون هذا أكبر من قدراتهم وطاقاتهم الذهنية والفكرية، ومما يزيد من عصبية هؤلاء الأطفال تأنيبهم كلما أخطأوا أو أخفقوا، أو مقارنة بأقرانهم الأسوياء مقارنة تنطوي على بعض الظلم وليست في صالحهم فيشعرون بالنقص والدونية والشقاء وخيبة الأمل فيزدادون توتراً نفسياً وعصبياً.

وعلى الآباء التعجيل بالعلاج الطبي اللازم حسب الحالة، مع إعادة تربية هؤلاء الأطفال بالأساليب التربوية الخاصة، كذلك استثمار ذكائهم المحدود، ويلزم كذلك مساعدتهم على التوافق الاجتماعي المطلوب، وحمايتهم من استغلال

الأخريين لهم، وإعداد وتوجيه الوالدين لكي يتحملاً عبء هذه المشكلة وقائياً وعلاجياً.

أما على الجانب العام فلا بد من نشر المعرفة، ورفع وعي المواطنين بخصوص الضعف العقلي، وتوجيه وارشاد الوالدين قبل الانجاب، وذلك بالفحص الدوري للأم الحامل، ووقاية الأطفال أثناء الولادة، والتعرف المبكر على الاضطرابات الوراثية، التي يمكن أن تتسبب في إنجاب أطفال ضعاف العقول.

العلاقة بين الذكاء وعصبية الأطفال:

الطفل الذكي قد يعاني - أحياناً - من العصبية والتوتر وعدم الاستقرار؛ ذلك لأن مستوى تفكيره يختلف كثيراً عن مستوى تفكير أقرانه، فيدرك ويستوعب كل ما يقال له أسرع وأعمق. ونحن نلاحظ أنه كلما استرسل المعلم في الشرح بالإعادة والتكرار، شعر الطفل الذكي بالملل والضيق والتبرم؛ لأنه يستوعب بسرعة ملحوظة فنراه يستخف بالدراسة، وحتى في المنزل لا يبذل جهداً كبيراً في التحصيل والاستذكار، ولذلك نبه أن مثل هؤلاء الأطفال إنما يتتابهم الغرور والثقة الزائدة في النفس.

ومن المعروف عن هؤلاء الأطفال الأذكياء أنهم كثيرون الأسئلة، ولديهم ملاحظات قد تتسبب في إحراج الآباء والمعلمين على حد سواء، فيواجه مثل هذا الطفل أو ذاك بالعقاب البدني أو السخرية منه والازدراء واللامبالاة، بحجة أن هذه الأسئلة وتلك الاستفسارات إنما تُعيق العمل داخل الفصل، وذلك حينما يتطرق مثل هؤلاء الأطفال إلى موضوعات خارج نطاق المقرر المعمول به، مما يتسبب في تعطيل مسار الدرس. ويُعيق السواد الأعظم من التلاميذ عن الفهم والاستيعاب؛ لا سيما والمقررات المدرسية طويلة وشاقة، وفي المقابل.. فإن العام الدراسي صغير وقصير ويكاد يكفي بالكاد لتغطية جميع موضوعات المقرر!! رد على ذلك لو أن موقف الأبوين في المنزل هو موقف المعلمين أنفسهم في

المدرسة... كل هذا بلا شك يدفع الطفل دفعاً إلى الشعور بالضيق والتبرم. والقلق النفسي والإحباط، فيلجأ إلى العصبية والعدوانية" وقد تؤدي به هذه المطبات النفسية والعصبية الشديدة إلى أعراض أخرى لا تقل خطورة كالتبول اللاإرادي أو الإصابة بأمراض الكلام كالتتهمة أو اللججة أو اللعثة، وفي تطورات أخرى قد تؤدي به إلى انحرافات سلوكية كالسرقة أو الكذب.. وكل هذه الأعراض والأمراض تؤدي بالطفل في النهاية إلى دوامة التخلف الدراسي، ومن ثمّ الفشل.

وقضية الطفل الذكي أو المتفوق لا تقل خطورة بحالٍ من الأحوال عن قضية الطفل الغبي، كما أن الطفل الذكي لا يعتبر مشكلة في حد ذاته، كل ما في الأمر أنه يشعر بأن مستواه العقلي، ومن ثمّ مستواه الدراسي أعلى بكثير من مستوى أقرانه، ولذلك يشعر بالملل من حضوره إلى المدرسة فهي لا تشبع نهمه المعرفي، وطاقاته الزائدة، وقدراته العقلية المتقدمة.

والأخطر من هذا أن الطفل قد يستخف بأداء واجباته ويهملها، معتمداً على قدراته العقلية والذهنية العالية في الفهم والتحصيل والاستيعاب.. الأمر الذي قد يؤدي به سوء حظه إلى أن تخونه قدراته أحياناً فيتأخر دراسياً، أو قد يرسب في الاختبارات، ومن ثمّ يحبط فتزداد عصبية وثورته، وقد يُصاب بحالاتٍ مزمنةٍ من القلق والاكتئاب.

لذلك.. فإننا ننادي بأن تكون بكل مدرسة فصول للمتفوقين، تختلف فيها الدراسة كماً وكيفاً عن باقي الفصول العادية، كما أنه من المفروض أن يقوم بالتدريس (في مثل هذه الفصول) معلمون على مستوى عالٍ من التأهيل الأكاديمي والتربوي؛ حتى يتسنى لهم مجاراة هؤلاء الأطفال الأذكياء.

وفي هذا الصدد، يمكن للمدرسة أن تكشف عن هؤلاء الأطفال المتفوقين والأذكياء بإجراء اختبارات تكشف عن السمات السيكولوجية، التي تتوافر

بدرجة كبيرة في مثل هؤلاء الأذكياء، وهي على سبيل المثال لا الحصر: استقلال التفكير، ودقة الملاحظة، وقوة الذاكرة، وسرعة الفهم وعمقه، والقدرة على الابتكار والتجديد، والثقة بالنفس وعدم التردد، وقوة الإرادة والمثابرة، والرغبة في التفوق وبذل الجهد، وسرعة النمو التحصيلي.

لذلك كان لزاماً، والأمر جد خطير أن تتبنى المؤسسات التربوية كالأُسرة والمدرسة الاهتمام بهؤلاء الأذكياء بتشجيعهم على القراءة والإطلاع الخارجي، وإحاقهم بنوادي العلوم، ومنحهم المكافآت التشجيعية، وإشراكهم في الرحلات والمعسكرات.

وكما أوضحنا.. فإن الطفل الذكي المتفوق ليس مشكلة في حد ذاته، بل إن مكن الخطر هو أسلوب معاملته، فالآباء الذين يصرون دائماً على اعتبار أبنائهم من الموهوبين والعباقرة، إنما يساعدون بهذا المسلك على إذكاء روح التمرد والشعور المتزايد بالثقة في النفس، التي قد تصل بهم إلى حد الغرور، وتكون النتيجة عكسية، وفي الاتجاه المضاد تماماً، فيهمل الأطفال الاستذكار ويتهاونون في أداء واجباتهم، فتتراكم عليهم الدروس، فيفشلون في التحصيل المثالي، وقد يرسبون في الاختبارات.

ونحن لا نطلب من الآباء سوى تنمية مواهب أطفالهم، ولكن دون أن يدفعوهم إلى الغرور، وألا ينتقدوهم لكثرة استفساراتهم، بل يجيبوا عنها بروح الودِّ والقبول، ولا مانع إطلاقاً من شراء اللعب المختلفة المفيدة التي تنمي قدراتهم وإمكاناتهم الذهنية والعقلية.

ويجب أن ننبه الآباء والمُعَلِّمين إلى خطورة الاهتمام بالأطفال على أنهم أذكياء وعباقرة؛ فيطلبون منهم الوصول إلى مستوى عالٍ من التحصيل، هم في حقيقة الأمر أقل مستوى من الوصول إليه، فيصاب الأطفال بالاحباط، والشعور بالمرارة لعجزهم المتوقع؛ الأمر الذي يؤدي إلى العصبية والتوتر والجنوح، أو إلى

الانزواء والإغراق في أحلام اليقظة.

الحركات الخاصة الناتجة عن عصبية الأطفال :

❖ مص الإبهام أو الأصابع "THUMB SUCKING"

ضرب من السادية الفموية التي يمارسها الطفل، حين يعتمد إلى وضع إبهامه في حلقه أو إلى مصّ إصبعه بشكل عام، ويعتبره المحللون النفسيون من الظواهر الدالة على مغزى جنسي له علاقة بالكبت والاستعاضة عن وضع الثديين. ومصّ الأصابع في الشهور الأولى عملية طبيعية يلجأ إليها كل الأطفال، وتقع الخطورة الحقيقية إذا استمر مصّ الأصابع إلى سن متقدمة كالعاشرة مثلاً، وفي هذه الحالة تعتبر هذه الحركة عرضاً من أعراض الاضطراب النفسي والعصبي، وقد يصاحب ذلك أحلام يقظة أو سرحان أو اكتئاب، ويزداد بالتالي مصّ الأصابع عند مواجهة بعض المشاكل أو عند الفشل أو الإخفاق، والمعلوم أنه لا يجدي تحذير الآباء للطفل وتبئهم له بالإقلاع عن هذه العادة.. وإذا أردنا علاج هذه الحركة فلا بد من علاج الحالة النفسية للطفل، وكذلك الحالة الأسرية التي يعيش في كنفها الطفل، ونركز ما أمكن على علاقة هذا الطفل بوالديه وإخوته، ذلك في محاولة جادة لإشباع الحاجات النفسية له كالشعور بأنه محبوب ومطمئن، وأنه يحظى بالتقدير والإيثار.

وقد تكون إحدى وسائل العلاج الناجحة هي شغل وقت فراغ الطفل بنشاط يدوي وذهنّي، يحول بينه وبين وضع يده في فمه ويشعره باللذة، في الإنتاج بممارسة هوايات وأنشطة نافعة، أما استعمال العقاب والتأنيب والتوبيخ كعلاج لهذه الحالة، فإنه يعقد الحالة ويزيد من اضطراب الطفل نفسياً وسلوكياً.

❖ قضم الأظافر "NAIL BITING":

عادة قوامها اللجوء من جانب الأولاد والبالغين إلى عض الأظافر النامية في أصابع اليدين ومحاولة قضمها. وهي من العادات التي يتعذر استئصالها بسهولة، وحمل المرء على الإقلاع عنها تماماً. وقضم الأظافر، وقرض الأقلام، أو حتى عض الأصابع ظاهرة تدل على انفعال الغضب أو الشعور بالحرج، وهو من ظواهر أعراض التوتر النفسي والعصبي، وقد يكون نتيجة لعدم القدرة على التكيف مع البيئة، أو عدم مواجهة بعض مواقف الحياة. وكثيراً ما تزداد هذه الحالة عند التلاميذ أثناء الامتحانات، أو عند تعرضهم لمواقف حرجة أمام أقرانهم، وبذلك يمكن أن يفسر قضم الأظافر بأنه وسيلة سلبية لاستنفاد التوتر النفسي والعصبي، ووسيلة للهروب من مواجهة الواقع، وكما ذكرنا.. فإن العقاب أو التوبيخ لا يجدي في علاج هذه الحالة كما في مص الإبهام.

ومما يساعد على علاج هذه الحالة إجراء التصحيحات اللازمة في علاقة الطفل بوالديه ومعلميه وكل من في البيئة لإشباع حاجاته النفسية، ثم مساعدته على إثبات ذاته بأسلوب توافقي، مع الاهتمام بالأنشطة الترويحية، مثل: زيارة المتاحف والأماكن الأثرية وقيامه بالرحلات العلمية أو الترفيهية، ومشاهدة برامج التلفاز (التلفزيون) الهادفة والمفيدة، وكذا التنزه في الحدائق. هذا.. وقد أجرى علماء النفس عدداً من التجارب البارزة؛ حيث توصلوا إلى طريقة الإيحاء العلاجي في أثناء النوم، ونجحوا في جعل الذين اعتادوا قضم أظافرهم يقلعون عن تلك العادة.

الحركات العصبية اللاإرادية الناتجة عن عصبية الأطفال:

قد يعاني بعض الأطفال من حركات عصبية لاإرادية، تتخذ صفة العادة، ومنها: هز الساق بطريقة شبه مستمرة، ورمش العين في تلاحق مستمر، وتحريك الأنف ذات اليمين وذات اليسار، وتحريك جوانب الفم، وتحريك الرقبة يمينا ويسارا أو إلى الخلف، وكلها تتم بطريقة عصبية تلقائية متتابعة، وحينما تتأصل هذه الحركات العصبية في الطفل.. فإنه لا يقوى على منعها مهما نبه أو زجر أو حتى عوقب، وكما سبق أن أوضحنا.. فإن مثل هذه الحركات هي في الواقع وسائل للتخلص من التوترات العصبية الناتجة عن اضطرابات نفسية حادة، ونؤكد من جديد أن محاولات التثبيح والزجر والتوبيخ والعقاب لا تفيد في الشفاء من هذه الحركات العصبية اللاإرادية بل تزيدها وتثبتها، وذلك لزيادة عصبية الأطفال وتوترهم.

ومن خلال التجارب الواقعية، نؤكد أن إهمال هذه الحركات العصبية، وعدم التثبيح إليها سواء من الوالدين أو غيرهم يؤدي إلى تحسن الحالة، مع ضرورة الاهتمام باختلاط الطفل بالأقران والأصدقاء لممارسة وسائل اللهو واللعب الجماعي، مع إقلال الوالدين من القلق على الطفل، أو التدليل المفرط، مع إشباع حاجاته النفسية من حبٍّ وأمن وتقدير وتأكيد ذات وانتماء، مع ضرورة تعاون الأسرة مع المدرسة في العلاج كأن تشجعه المدرسة على مزاوله وممارسة الأنشطة الرياضية والفنية والثقافية والترويحية.

حتى نقي أطفالنا من داء العصبية:

❖ الأبناء الذين يعانون من العصبية عاشوا في منازل يسودها التوتر والقلق، ولذلك يجب على الآباء ضبط سلوكهم، وإشاعة جو من الهدوء والأمن والسعادة داخل المنزل.

❖ كثير من الآباء يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة من شئون أطفالهم، بحيث

لا يشعرون بحريتهم وذاتيتهم فينشأون معتمدين على الآخرين؛ لذلك يجب على الآباء عدم التدخل في شئون أطفالهم إلا بالقدر المعقول من التوجيه والإرشاد، وأن يتركوا لهم حرية التصرف في شئونهم بالقدر المناسب من النصح والتبصير.

❖ من الآباء من يتحمس لفكرة عدم اختلاط الأبناء مع أترابهم وأقرانهم، إما خوفاً من الحسد أو من فرط الخوف عليهم، فيشرب هؤلاء الأطفال دون نمو كافٍ لشخصياتهم اجتماعياً، ولذلك على الآباء إتاحة الفرص لأبنائهم لممارسة نشاطهم الاجتماعي السوي مع الآخرين.

❖ عدم التفريق في المعاملة بين الأبناء، وعلى الأخص إثارة الأبناء الذكور على الإناث، مع إشباع الحاجات النفسية للأبناء كشعورهم بالحب والإيثار والتقبل والتقدير والأمن والأمان بدرجة معقولة ومقبولة دون تدليل مفرط أو مبالغ فيه؛ حتى لا نخلق منهم أفراداً يميلون إلى السيطرة على البيئة وفق هواهم.

❖ كثير من الآباء يعتمدون في تربيتهم لأطفالهم على القسوة والتحقير والتعنيف، وهي أساليب من شأنها أن تؤثر سلباً في نمو شخصياتهم، ولا تؤتي لهم إلا بالعصبيَّة والعدوانيَّة، أو الانسحابيَّة والانطواء؛ لذلك ننصح الآباء والمربين بالبعد عن تلك الأساليب، التي تدمر الصحة النفسية للأطفال.

❖ تؤكد الدراسات أن عصبيَّة الأطفال ليست وراثية بيولوجية عن طريق الدم من الآباء إلى الأبناء، كما كان يُعتقد في السابق، وإنما هي سلوك مكتسب ومُتعلَّم أو نتيجة لكبت الآباء للأبناء، ولذلك يلزم التحلي بروح الهدوء والاتزان والأناة والصبر في التعامل مع الأطفال.

❖ كثير من المدارس تهمل الهوايات والرياضات البدنية ومزاولة الأنشطة الفنية والموسيقية والكشفية، على اعتبار أن هذه الأنشطة إنما من قبيل الأهداف الهامشية، أو على أنها أنشطة قد تتسبب في ضياع الوقت، الذي من المفروض أن يدخر لمواجهة الكم الهائل من المعلومات والمعارف التي تحتويها المقررات

الدراسية؛ لذلك نطالب بضرورة أن تغير المدرسة من دورها التقليدي الجاف؛ حتى نستطيع مواجهة تحديات المستقبل بخلق جيل من المبدعين والرياضيين والعلماء والأدباء والقادة ورجال الدين، حتى تتبوأ الأمة العربية مكانتها المرجوة واللائقة.